١٣

الاحتفالات والمناسبات في العصر العباسي
على وفق التنوع المجتمعي

م.د. اخلاص أمانه ماهي عيسى
lkhlas.amana@ircoedu.obaghdad.edu.iq
جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية-
قسم التاريخ

الخلاصة:

تناول البحث ظاهرة اجتماعية لايكاد يخلو منها عصر من العصور ألا وهي الاحتفالات والمناسبات على مختلف أنواعها ولاسيما في العصر العباسي الذي هو مادة البحث .

فقد قسمت البحث على أربعة محاور، تناول المحور الأول: الأعياد والمناسبات الدينية الإسلامية، أما المحور الثاني فتناول الأعياد المحلية الرسمية غير الإسلامية.

وركز المحور الثالث على أعياد العصر العباسي ومناسباته . وانفرد المحور الرابع بالمناسبات والاحتفالات الأسرية والعائلية في المجتمع العباسي، وبين البحث أهمية التنوع الاجتماعي في العصر العباسي .

الكلمات المفتاحية: الاحتفالات، المناسبات، العصر العباسي، التنوع الاجتماعي.

Celebrations and events in the Abbasid era
According to societal diversity

.M.D Ikhlas Amanuh Mahy Essa
Ikhlas.amana@ircoedu.obaghdad.edu.iq
University of Baghdad - College of Education, Ibn Rushd for Human Sciences - Department of History

Abstrak

The research dealt with a social phenomenon that almost no era is devoid of, namely celebrations and occasions of various kinds, especially in the Abbasid era, which is .the subject of the research

The research was divided into four axes. The first axis dealt with Islamic religious holidays and occasions, while the second axis dealt with official non-Islamic local .holidays

The third axis focused on the holidays and occasions of the Abbasid era. The fourth axis was unique to family and family occasions and celebrations in Abbasid society, .and the research demonstrated the importance of social diversity in the Abbasid era

.**Keywords:** celebrations, occasions, the Abbasid era, social diversity

المقدمة

اعتادت المجتمعات الإسلامية ومنها المجتمع العباسي، أن تشهد كثيراً من مظاهر الاحتفال بالأعياد والمناسبات. وفي الإطار العام، فإن هذه الاحتفالات، منها ما هو ابتكار خاص من التجمعات المدنية الإسلامية أو غير الإسلامية ومنها، ما هو تقليدي تصل جذوره إلى ما قبل الإسلام، في حين أن بعضها الآخر، اقتصر على المناسبات الشائعة أو المحدثة فقط .

وقد اعتنى العباسيون بالأعياد بشكل عام سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية ولكنهم بالتأكيد قد أعطوا العناية الكبيرة للأعياد الإسلامية .

كانت بعض هذه الأعياد والمناسبات، قد دلّت على عمق الشعور الديني في المجتمع ، فإن جميعها كانت تدل على نحو واضح ، أن المجتمع في المدن، كان بحاجة إلى الترويح عن النفس بشكل او آخر، وكذلك دلّت على الرغبة في المشاركة الاجتماعية ولاسيما في الأعياد التقليدية سواء أكانت إسلامية أو غير إسلامية .

وقد ركز البحث على القرن الرابع الهجري ولكنه أحياناً يشير إلى أبعد من ذلك أو أقل منه، وذلك بحسب ما تمليه المصادر الأولية من حوادث ومرويات وأخبار من جانب، وما تفرضه خطة البحث من جانب آخر. كما ركّز بالدرجة الأساس على بغداد لأنها حاضرة الدولة العباسية، مع المرور على مصر كونها إحدى الأقاليم التابعة للدولة العباسية في تلك الحقبة .

قُسّم البحث على أربعة محاور، خُصص المحور الأول منه للأعياد والمناسبات الدينية الإسلامية. والمحور الثاني خُصص للأعياد المحلية الرسمية غير الإسلامية ، ويشمل الأعياد الفارسية كالنيروز أو النوروز والمهرجان، وأعياد النصارى واليهود والصابئة، وقد قدمت الأعياد الفارسية عليهما، لأنها كانت إلى جانب عيدي الأضحى والفطر الإسلاميين، من اكبر الأعياد الرسمية عند العباسيين، وتفوق من إذ العناية ومظاهر الاحتفال بها ، أعياد النصارى واليهود .

وكان المحور الثالث، قد ركز على أعياد القصر العباسي ومناسباته ، فثمة أعياد ومناسبات اختص به القصر العباسي ورسوم دار الخلافة ، أبرزها الاحتفال بمراسم التتويج وزفاف الخلفاء والأمراء، لا بل أن بعض الأعياد الشعبية ، كان له مظهر احتفالي خاص في قصر الخلافة ، أكثر مما هو لدى المجتمع العباسي مثل الاحتفال بمناسبات الأسرة العباسية لكن بإطار أوسع عن المعتاد لدى العامة مثل الاحتفال بالختان .

أما المحور الرابع والأخير، فقد خصصته للمناسبات والاحتفالات الأسرية أو احتفالات العائلة في المجتمع العباسي ، وتعرضت فيه إلى مناسبات الزواج والختان والولادة والقدوم من الحج . واختتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها البحث .

المحور الأول

الأعياد والمناسبات الدينية الإسلامية

١- عيد الفطر وعيد الأضحى

يُعد عيدا الفطر والأضحى من الأعياد الرئيسة عند المسلمين عموماً، إلى جانب النيروز الفارسي، من أكبر الأعياد عند أهل بغداد وكذلك عند أهل مصر ولاسيما في القرن الرابع الهجري إبان العصر العباسي. وقد يتوافق في الوقت نفسه عيد المسلمين الأضحى و (أحد شعانين النصارى) و (عيد الفطر لليهود)، وهذا ما حدث سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩ م في عهد الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م)[١] .

وعيد الفطر على نحو خاص أصبح في العهد العباسي مصحوباً بالأبهة والعظمة، إذ تسطع الأنوار فيه في بغداد وغيرها من المدن في المشرق ، كذلك هو الحال في المغرب والأندلس في ليالي العيد جميعها. وتتعالى أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل، وتزدحم الأسواق بالناس، وقد لبسوا الجديد من الملابس والحلي التي أعدوها لهذه المناسبة . أما ضفاف الأنهار فكانت الزوارق تزدحم على ضفاف دجلة والنيل وفي الموانئ وعليها أبهى الزينات، وتتلألأ الأنوار في قصور الخلفاء، ويجلسون لتقبل التهنئة[٢]

وقد جرت العادة في بغداد وغيرها من المدن كدمشق والقدس ومكة ونيسابور أن تشعل قناديل المساجد وشموعها طيلة أيام شهر رمضان وتخرج الهبات والعطايا في الأيام الأربعة السابقة للعيد من دار الخلافة إلى العامة واللاسيما.[٣] وكان من مراسم الخلافة أن يغادر الخليفة قصره إلى صلاة العيد في موكب مهيب وعليه بردة الرسول الأعظم وبين يديه مصحف عثمان ومعه رجالات الدولة بالأقبية السوداء[٤]. وعند مرور الخليفة يكبّر الناس وحين يصل إلى الجامع ينادون: (السلام على أمير المؤمنين ونور الإسلام) فيرد عليهم التحية بلثم أطراف البردة والتلويح بها ، ثم يعود الموكب بعد الصلاة إلى القصر لاستعراض الجند بكامل ملابسهم وخيولهم.[٥] هذا ولم تكن مواكب القواد والوزراء، أقل بكثير من مواكب الخلفاء، لكن الأمراء كانوا يرتدون القباء الأسود ، فيما يرتدي القضاة الطيلسان والعمائم السود .

وتشهد المدن الأخرى شكلاً مصغراً من مواكب الخليفة والقواد في عموم العالم الإسلامي، ويتكرر ذلك المشهد في المدن جميعها يوم (عيد الأضحى) الذي يترافق معه عادة تقديم الأضاحي. ويذكر أن الخليفة المقتدر بالله (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م) حين بويع للخلافة (٣٠٠هـ/٩١٢م) ، وزع في يوم التروية ٨/ ذي الحجة ويوم عرفة من البقر والغنم ثلاثين ألف رأس ومن الإبل ألفي رأس.[٦]

وكان (شهر رمضان) هو الشهر الذي يتجلى فيه منتهى الكرم عند المسلمين وتكثر فيه الصدقات . فقد ذكر عن الوزير (الصاحب بن عباد) [*] أن داره كانت لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر

رمضان من ألف شخص يفطرون على مأدبته وأن صدقاته فيه، كانت تعادل ما يطلقه في السنة كافة. (٧)

وورد أنه في آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م حمل (يانس الصقلبي)(*) صاحب الشرطة السفلى السماط- أي المائدة الممدودة- وقصور السكر والتماثيل وأطباقاً فيها تماثيل من الحلوى . وحمل أيضاً (علي بن سعد) المحتسب القصور وتماثيل السكر وطافا بها في شوارع القاهرة . وكانت تُعمل أسمطة أخرى في القصر يحضرها الخليفة بنفسه في يوم عيد الفطر وعيد النحر . ففي عيد الفطر مثلاً كان يعمل سماط طوله ثلاثمائة ذراع في سبعة أذرع من الخشكنان، فإذا صلى الخليفة الفجر، جلس ومكّن الناس من ذلك السماط الممدود، فيتسابقون للفوز بما يحويه من أطعمة وأشربة(٨) .

وكان هذان العيدان هما الرئيسان عند المسلمين بل هما الوحيدان الكبيران اللذان كان يحتفل بهما بهذه الأبهة احتفالاً رسمياً(٩)، وكانا لذلك يبلغان- على حد وصف ميتز- منتهى الروعة والأبهة في البلاد التي يكون الشعور الإسلامي فيها على أقواه مثل طرطوس إذ كان يأتي جنود المسلمين من كل أنحاء المملكة الإسلامية ، حتى كان عيداها في العهد العباسي، يعدان من محاسن الإسلام. ولما ضاعت من المسلمين طرطوس ، بقيت صقلية مشهورة بحسن عيديْها . وكان يذبح في عيد الأضحى حيوانات كثيرة(١٠) .

٢- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

اعتنى العباسيون بالمولد النبوي الشريف والاحتفال به مع ازدياد التعظيم للرسول الكريم (ﷺ) منذ مطالع (ق ٤هـ/١٠م) وأشارت الروايات الى أن أول احتفال عرف بولادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدأ في حوالي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، وقد عدّه المتمسكون بالعادات الإسلامية الأولى بدعة. ويحكى عن الشيخ معروف الكرخي المتوفى سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م وكان من الزهاد المتعبدين، أنه كان لا يفطر إلا في العيدين وفي يوم مولد النبي عليه السلام(١١) .

وفي ق ٦هـ/١٢م، أبطل الأفضل بن أمير الجيوش الموالد الأربعة: النبوي والعلوي والفاطمي ومولد الأمام الحاضر(١٢). على أن أول من أعاد المولد النبوي واحتفل به احتفالاً عظيماً هو- كما يقال- الأمير سعيد مظفر الدين كوكبوري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) وكان هذا التجديد يتم بقراءة السيرة النبوية وقصة المعراج، وكان يصاحب الاحتفال إقامة الولائم المناسبة لرجال الدين والصوفية وعموم الفقراء(١٣) . ولم يكن الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب وغرناطة أقل روعة، ولكن هذا الاحتفال لم تكن له صبغة رسمية إلا في وقت متأخر من ق ٧هـ/١٣م، فقبل هذا التاريخ كان الاحتفال به فردياً لا حكومياً رسمياً(١٤) .

كما شاعت بين المسلمين ولاسيما في العهد العباسي وتحديداً عند استقرار البويهيين في بغداد، مظاهر الاحتفال بمولد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ومولد ولديه السبطين الحسن

والحسين وأمهما البتول فاطمة الزهراء (عليهم السلام)، لكن الاحتفال بهذه المواليد كان مقصوراً على الشيعة أكثر من غيرهم. وفي الحقيقة، فإن الاحتفال بموالد آل البيت (عليهم السلام)، لم يبرزها إلا البويهيون وبشكل أكبر الفاطميون، وقد وصف (المقريزي) في خططه مظاهر الاحتفال بهذه الموالد عند الأخيرين، ولكنها لا تدخل ضمن البحث .

٣- عيد الغدير:

أظهر البويهيون (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) الاحتفال بغدير خم وإحياء ذكراه الذي يوافق يوم ١٨ من ذي الحجة. وأول ما عرف في العراق أيام معز الدولة أحمد بن بويه، فإنه أحدثه في سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م فاتخذه الشيعة حينئذ عيداً[١٥] .

وعند حلول العيد، يقوم المسلمون الشيعة بإحياء ليلته بالصلاة، ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البر من الذبائح ، وكانت تضرب فيه الدبادب والبوقات ويسرع الناس إلى قبور الأولياء في الكوفة وبغداد[١٦]. واستمر الاحتفال بهذا العيد طوال العهد البويهي رسمياً ثم صار احتفالاً شيعياً إلى اليوم[١٧] .

ويذكر المقريزي في خططه أنه لما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق ، أراد أهل السنة من العوام، مضاهاة فعلهم ، فاتخذوا في سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م) . بعد عيد الغدير بثمانية أيام، عيداً أكثروا فيه من السرور واللهو وسموه بعيد (الغار) وقالوا هذا يوم دخول رسول (ﷺ) الغار هو وأبو بكر الصديق (رض) وبالغوا في هذا اليوم في إظهار الزينة ونصب القباب وإيقاد النيران ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد[١٨]. ويذكر القلقشندي أن الشيعة في يوم الغدير كانوا يلحقون الأجانب بالأهل في الاكرام ، والشعراء والمترسلون يهنئون الكبراء منهم، بهذا العيد[١٩] .

٤- يوم عاشوراء:

أضاف البويهيون موسماً دينياً آخر هو يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي تحل فيه ذكرى استشهاد الإمام الحسين (ع) مع جمع من آل بيته وأصحابه. وتبدأ مراسم هذه المناسبة منذ الأول من محرم الحرام وتستمر حتى العاشر منه إذ واقعة الاستشهاد في معركة الطف في كربلاء[٢٠] .

وكانت القباب في هذه المناسبة تنصب في الأسواق ويعلّق عليها السواد رمزاً للحزن واستذكار الفاجعة، وكانت النساء تخرج مرسلات الشعور يلطمن في الطرقات، وكانت المآتم ومجالس العزاء الحسيني ، تقام في الدور والمساجد. وقد كانت الأسواق تغلق في هذا اليوم في بغداد والمدن الأخرى ، وتقام فيها المآتم والنواح أيضاً ويتشح الشيعة بالسواد ويرددون في مجالس لاسيما كيفية الاستشهاد حتى غداً عاشوراء، مؤسسة اجتماعية استمر الاحتفال بها إلى اليوم[٢١] .

وكان اليوم عاشوراء لدى الفاطميين مكانة لاسيما ومتميزة، أشار إلى مراسمها بشيء من التفصيل، المقريزي[٢٢] في خططه، ولكنها لا تدخل في مجال بحثنا.

ويظهر أن هذه المناسبة ، لم تكن معروفة أو قائمة عند المجتمع العباسي وذلك بسبب العداء التأريخي أو الخصومة السياسية المعروفة بين بني العباس والعلويين ومن يناصرهم من الشيعة، إلا أن هذا على ما يبدو لم يكن يمنع من قيامها وممارسة مراسمها على نطاق ضيق داخل البيوت، إذ من غير المعقول أن تحل هكذا مناسبة عظيمة لدى الشيعة لا يحتفلون بها ولو على سبيل الاستذكار المحدود. ولهذا أظهرها البويهيون الذين دخلوا بغداد ٣٣٤هـ/٩٤٥م، وسرعان ما تلقفها الشيعة وبدأوا بممارسة طقوسها ومراسمها اللاسيما وكأنهم دأبوا على القيام بها وهم معتادون عليها.

٥- عيد رأس السنة الهجرية:

يكون الاحتفال فيه في مطلع العام الهجري إذ يقيم الخليفة العباسي صلاة العيد الذي تتخللها التسابيح ، ويُنشر العلمان اللذان على المنبر، يخطب الخليفة خطبتين، ثم ينصرف بعد ذلك إلى قصره في موكبه وتكون الموائد قد مدت للناس[٢٣] .

ويذكر آدم ميتز، أن عيد رأس السنة الهجرية الذي يتوافق مع ذكرى هجرة الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) إلى المدينة المنورة وبدء التأريخ الهجري، لم يكن له موعد ثابت، ولهذا لم يصبح عيداً من الأعياد الشعبية، بل ظل عيداً في قصر الخلافة، لا يحيط به ما كان يحيط بغيره من الفخامة، وكان الناس يتهادون فيه أيضاً[٢٤] .

ويعتقد بعض المؤرخين أن الخلفاء العباسيين الذين كانت أُبهتهم تتجلى في أشد صورها وأشكالها في الاحتفال بالأعياد، كانوا يتجهون في سياستهم إلى اجتذاب الشعب على اختلاف طبقاته، وذلك عن طريق العطايا والأرزاق والهبات والأسمطة التي كانوا يمدونها في الأعياد والمواسم والمناسبات الدينية ولاسيما في أول العام الهجري، وفي مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومولد الخليفة الجالس على العرش وفي شهر رمضان المبارك[٢٥] .

٦- الاحتفال بختم القرآن الكريم:

وهو من الاحتفالات الدينية الصغرى في المجتمع العباسي، وكانت تقام عندما ينهي الأحداث ختم القرآن الكريم وإجادة قراءته. وفي هذه المناسبة التي تكاد تشبه العيد المصغر، يجوب الأحداث بعض الشوارع في بغداد، ينشدون الأناشيد. وتقام المآدب في هذه المناسبة، وتوزع الحلوى على المقرئين إذا كان أهل الأحداث من ذوي اليسار[٢٦] .

٧- الاحتفال بخروج موكب الحج:

كانت المواكب عند الخلفاء العباسيين أكثر أبهة وتنظيماً من مواكب الأمويين ولاسيما في أيام الجمع، وفي مواكب الحج كان الخليفة يخرج في حفل كبير في أبهى صورة وسط تهليل الناس وزغردة النساء ودعاء الرجال[٢٧].

وكان العباسيون يشرفون على تنظيم موكب الحج السنوي من بغداد، إذ كانوا يختارون لموكب الحجيج كله أميراً يكون في العادة من سلالة الأشراف الطالبين، ويتم اختياره بدار الخلافة بحضور

القضاة والأشراف والفقهاء. ويخلع عليه الخليفة فيذهب بمن تجمع من الحجيج في بغداد إلى مكة مفوضاً منه بالخطبة وبحماية قوافل الحجاج الذين يجتمعون من مختلف أنحاء المشرق في بغداد[٢٨] .

ويقوم أمير الحج عند الوصول إلى البيت الحرام، بنصب لواء الخليفة والخطبة باسمه، ويعلق قناديل الفضة أو الذهب التي حملت إلى الكعبة باسمه والاستار لها. وعند العودة، يحتفل المجتمع العباسي بالعائدين ويقوم لهم الخليفة ويقدم لهم الخلع الهدايا[٢٩] .

المحور الثاني

الأعياد المحلية الرسمية غير الإسلامية

أولاً: الأعياد الفارسية:

لم يكن الاحتفال عند المجتمع العباسي والخلفاء العباسيين مقصوراً على العيدين الكبيرين المعروفين: الفطر والأضحى فقط، بل شمل كذلك الأعياد الفارسية القديمة مثل النيروز والمهرجان والرام التي أصبحت في العصر العباسي من أهم أعيادهم الرسمية. وقد اعتنى العباسيون بالنيروز في أول العام والمهرجان في آخره، واعتنوا بدرجة أقل بسائر الأعياد الفارسية القديمة[٣٠] .

ويظهر أن المسلمين ولاسيما في بغداد زمن العباسيين، قد تبنوا العديد من الأعياد الفارسية وكذلك أعياد النصارى أو على الأقل شاركوا فيها ولم يمنعوها، ولا ريب أن ذلك كان من المؤثرات الفارسية الواضحة في ذلك العصر[٣١] .

ولأن عيدي النيروز[*] والمهرجان، كانا من أشهر الأعياد المحلية الرسمية غير الإسلامية التي يحتفل بها العباسيون، فإن ضرورة البحث فضلاً عن بيان التنوع المجتمعي الذي كان يسوده الألفة والتوافق المجتمع العباسي، دفعتنا إلى التعرض إليهما بشيءٍ من التفصيل .

أ. أعياد النيروز (اليوم الجديد)

ويأتي النيروز في طليعة الأعياد الفارسية التي يحتفل بها المجتمع العباسي لأنها مطلع الربيع. وكانت الاحتفالات به تستمر ستة أيام، وقد احتفل به المجتمع العباسي على اختلاف طبقاتهم منذ بدايات العصر العباسي بعد استقرار دولتهم، وكانوا يتبادلون فيه التهنئة والهدايا على حسب الموروث الفارسي وكان العامة هم أكثر الناس مشاركة في هذا العيد[٣٢].

ويظهر أن الخليفة العباسي المتوكل على الله (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) كان أكثر الخلفاء العباسيين عنايةً بهذا العيد، إذ يروى أنه منح لكل بيت مائة دينار، ثم زادها إلى ألف دينار بعد أن قال بين يديه الشاعر الخليع الحسين بن الضحاك، أبياتاً من الشعر يصف فيها خادماً حسن الصورة وذلك أثناء الاحتفال بعيد النيروز[٣٣] .

وأول من وزع هدايا النيروز والمهرجان في الإسلام الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم رفع ذلك عمر بن عبد العزيز (رض) واستمر المنع فيه إلى أن فتح باب الهدية فيه أحمد بن يوسف الكاتب، إذ

اهدى فيه للخليفة المأمون سَفَطَ ذهب فيه قطعة عود هندي بطوله وعرضه وكتب معه: هذا يوم جرت فيه العادة باتحاف العبيد والسادة[٣٤]. وهذا يدل على أن الهدايا في هذا العيد كان يجري تبادلها بين مختلف فئات المجتمع العباسي من الخلفاء والوزراء والأمراء إلى عامة الشعب[٣٥] .

مظاهر الاحتفال بالنيروز

وكان من مظاهر الاحتفال بالنيروز أو النوروز، رش الماء على المارة، وقد أشار القلقشندي إلى أن سبب ذلك يعود إلى أن فيروز بن يزدجرد لما استلم أصبهان القديمة، لم تمطر السماء سبع سنين في ملكه، ثم مطرت في هذا اليوم ففرح الناس بالمطر وصبوا من مائه على أبدانهم من شدة فرحهم به ، فصار ذلك سُنَّة عندهم في ذلك اليوم من كل عام[٣٦]. وأما عوام الناس من الفرس، فكانت عادتهم رفع النار في ليلة النيروز .

ولم يكن أهل مصر – وهم ضمن المجتمع العباسي– أقل احتفالاً بالنيروز من أهل العراق، فمازال هذا العيد قائماً إلى اليوم هناك وتعرف بعيد "شم النسيم" الذي يخرج فيه المصريون إلى المتنزهات والنيل، ولكن هذا العيد كان يجري في مطلع السنة القبطية (أول توت) أي آخر آب، وهو عيد قبطي في الأصل، ولكنه أخذ اسمه من النيروز الفارسي[٣٧] .

وعلى ما يظهر أن هناك عيداً لدى الفرس يشبه عيد النيروز الذي يشترك بالاحتفال فيه كل المجتمع العباسي في العراق ومصر وبلاد فارس وهو ما يسمى بعيد الكوسج ويكون في الأيام الخمسة الأولى التي تكبس فيها السنة الفارسية . وكان لهذا العيد مظاهر احتفال لاسيما به وهو أن يركب فيه على بغل، ويطوف في شوارع المدن الفارسية والعراقية وغيرها، ويطالب ناس بمطالب معينة، فمن تأخر رشوا عليه القاذورات أو ما يفسد ثيابه ويعتقدون أن الله يقدر في هذا اليوم الحظوظ ويتخذونه أيام لهو وسرور وطرب ولاسيما لدى الفرس[٣٨] .

ب. <u>عيد المهرجان:</u>

وهذا العيد يكون في يوم السادس والعشرين من تشرين الأول، ويفصل بينه وبين النيروز مائة وسبعة وستون يوماً، وهذا الأوان في وسط زمان الخريف –على حد قول القلقشندي[٣٩]. وتكون مدته ستة أيام.

وسبب تسميتهم لهذا اليوم بالمهرجان، أن الفرس كانوا يسمّون شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى (مهر) ينتهج معهم سياسة العنف والشدة، فمات في النصف من هذا الشهر، وهو "مَهْرماه" فسمّي ذلك اليوم مهرجان وتفسيره: (نفس مهر ذهبت) والفرس تقدم في لغتها ما تؤخره العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهي الفارسية الأولى.[٤٠].

وكان عيد المهرجان إلى جانب النيروز من أكبر الأعياد، إذ تشارك فيه أيضاً طبقات المجتمع جميعها، ويتم فيه كما في النيروز، تبادل الهدايا ومنح الخلع ويجلس الخليفة في هذا اليوم للعامة،

ويتم فيها أيضا تغيير الفَرَس والآلات، وكثيراً من الملابس[٤١]. وكان العباسيون في هذا العيد يتهادون الهدايا الكثيرة ومنها السكر وفي هذا العيد يكثر الهرج والملاهي واللعب والفرح والسرور[٤٢].

أعياد ومناسبات أهل الذمة

١- **الأعياد النصرانية في المجتمع العباسي:**

كان النصارى في الدولة العباسية يمثلون فئة اجتماعية لها خصوصية تميزها عن باقي الديانات غير الإسلامية بسبب العلاقات السلمية للنصارى مع المسلمين عموماً وكونهم يمثلون جزءاً من السكان الأصليين في العراق ومصر وبلاد الشام وفارس قبل وصول الإسلام إلى تلك البلدان، هذا فضلاً عن أن العباسيين عندما حكموا الدولة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب استقطبوا العناصر وأصحاب الديانات الأخرى سواء من خلال الوظائف الرسمية الحكومية كالوزراء[٤٣] والكتاب والمترجمين والندماء والعطارين والصيارفة وغيرهم أو بصفتهم يمثلون طوائفهم الرسمية كرجال الدين من النصارى[٤٤] ومن ثمَّ فهم يمثلون فئة اجتماعية ضمن المجتمع العباسي وهذا الأمر ينطبق على الديانات الأخرى السماوية وغيرها.

وكان العباسيون بشكل عام، يحتفلون بجميع الأعياد المسيحية طوال العام ولاسيما في ق٤هـ/١٠م. وكانت معظم هذه الأعياد، تعود بجذورها إلى عادات قديمة، لأن كثيراً من المواضع التي كان يحج إليها المسيحيون في مصر والعراق، إنما كانت مواضع مقدسة عند الوثنيين، ولكن المسلمين خلافاً للكنيسة المسيحية، استنكروا هذه الأساطير. ومع هذا الاستنكار ترك المسلمون النصارى يتصرفون في أمورهم الدينية من غير تدخل في ذلك، اللهم إلا ما وجدناه في عهد المتوكل (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) [٤٥]، إذ اشترك المسلمون في الجانب الاجتماعي المسليّ من تلك الأعياد، فمثلاً كانت أعياد أهل بغداد، تكاد تكون نصرانية من كل وجه، وكانت أعياد القدسيين في مختلف الأديرة، أكثر الأعياد نصيباً من احتفال الناس[٤٦]. وأكثر ما كانت تقام هذه الأعياد في الأديرة ومن هذه الأعياد:

أ- **عيد أحد الشعانين: - عيد التسبيح-**

وهو يوم عيد كبير للعامة، وتفسيره بالعربية التسبيح وكان في سابع يوم (أحد) من صوم النصارى[٤٧]. ويزعمون أنه هو اليوم الذي نزل فيه عيسى بن مريم (ع) من الجبل ودخل بيت المقدس[٤٨]. ويرى المستشرق الألماني آدم ميتز إنه كان عيداً قديماً من أعياد الأشجار ولاسيما أشجار الزيتون[٤٩]، ولهذا كان يسمى عيد الزيتونة في مصر فقط[٥٠].

وكان فتيات وغلمان الكنائس في يوم أحد الشعانين، يظهرون في قصر الخلافة ببغداد، متزينين بثياب جميلة غالية، وفي أعناقهم صلبان من الذهب وبأيديهم قلوب النخل وأغصان الزيتون، وكان رسم النصارى في (بيت المقدس) في هذا العيد في القرن الرابع الهجري، أن يحملوا شجرة من شجر الزيتون من الكنيسة التي بالعازرية إلى كنيسة القيامة، وبينهما مسافة بعيدة، ويشقوا بها شوارع

المدينة بالقراءة والصلوات حاملين الصليب مشهوراً، ويركب والي البلد في موكب معهم ويذّب عنهم(٥١).

أما في مصر وسائر مدنها، كانت تزين الكنائس في هذا العيد بأغصان الزيتون وسعف النخيل المضفور كالصلبان، ويفرق منها على الناس على سبيل التبرك، فمنع الحاكم بأمر الله ذلك في بيت المقدس وسائر مدن مصر(٥٢).

ويذكر الطبري أن الخليفة المتوكل على الله كتب إلى عماله في الآفاق أمراً كان قد نهى فيه (النصارى) أن يظهروا في شعانينهم صليباً وكان ذلك في سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م) (٥٣).

ب- عيد الفصح(*):

كان المسلمون والنصارى في بغداد يقصدون في هذا العيد دير سمالو(*) ولا يبقى أحد من أهل الطرب واللهو إلا حضره، وهناك يدور الشراب(٥٤).

ويحتفل بهذا العيد في مدن الشام كلها وفي مدن مصر على أنه من الأعياد التي تسمح باللهو، وهو عند النصارى يسمى بالعيد الكبير، ويزعمون أن المسيح (ع) قام فيه بعد الصلب بثلاثة أيام، وخلّص آدم من الجحيم، وأقام في الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم صعد إلى السماء(٥٥).

ت- عيد الخميس المقدس:

وكان يسمى في مصر خميس العدس، لأن عامة النصارى كانوا يأكلون العدس في هذا اليوم، وكان العدس يُعد طعام الحداد. وفي الشام كان هذا اليوم يسمى الخميس الأزرق أو خميس البيض، وكان يباع فيه بأسواق القاهرة بيض مصبوغ بعدة ألوان(٥٦). وهذا يعني أن الخلفاء الفاطميين في مصر يحتفلون بهذا العيد مشاركةً لرعاياهم الأقباط كما كان يفعل الخلفاء العباسيون ويوزعون فيه نقود تضرب لهذا العيد ويوافق ذلك منتصف شهر نيسان .

ث- عيد دير الثعالب:

وهذا العيد يكون في آخر (سبت من شهر أيلول)، ودير الثعالب هذا يقع في الجانب الغربي من بغداد عند الموضع المعروف آنذاك بباب الحديد، وكان لا يتخلف عن هذا العيد أحد من النصارى والمسلمين لأنه يتوسط بغداد ولأن فيه الكثير من البساتين والنخل والرياض(٥٧).

ج- عيد القديسة أشموني:

وكان عيد (القديسة أشموني) يوافق اليوم الثالث من تشرين الأول، والاحتفال فيه يكون بدير أشموني(٥٨) بقطربل(٥٩) غربي دجلة، وكان من الأعياد العظيمة ببغداد، يجتمع أهلها إليه كاجتماعهم ببعض أعيادهم، ولا يبقى أحد من أهل الطرب واللهو إلا خرج إليه كل منهم على حسب قدرته(٦٠).

ح- عيد القديسة بربارة:

من الأعياد المسيحية التي تكون في أول الشتاء وتحديداً في الرابع من كانون الأول، وهو من الأعياد المعروفة عند المسلمين في المجتمع العباسي التي يقدرون بها الفصول، وبها يعرف وقت

الامطار حتى جرت أمثال الناس على ذلك فيقولون: إذا جاء عيد بربارة فليتأخذ البناء زماره أي ليجلس في البيت[٦١]. وقد أشار الرحالة ابن جبير إلى بعض جوانب الحياة الاجتماعية ومشاركة المسلمين للمسيحيين وذلك عندما وصف لنا احتفال زفاف عروس في مدينة صور[٦٢] .

خ- عيد ليلة الميلاد:

ويكون في ٢٥ كانون الأول، وكان النصارى يحتفلون به بإيقاد النيران واللعب بالجوز، ولكن المسلمين كانوا يحتفلون أيضاً بليلة الوقود التي تعرف بالسَدَقَ، وتكون في ليلة عيد الميلاد. وجرت العادة في القرن الرابع الهجري بالتبخير ليلة الوقود لدفع العين والضرر[٦٣]. وكانت تشترك به مدن فارس والعراق، كما تشترك به مدن الشام ومصر لأن النيران والشموع، كانت تشعل في ليله، وتستعمل فيه أنواع مختلفة من الدهان[٦٤]، وبهذا فأن هذا العيد يعد من الأعياد التي يشترك فيها كل مدن وولايات المجتمع العباسي في المشرق والمغرب.

د- عيد الغطاس:

وكان يحتفل به في مصر احتفالاً كبيراً وقد سمي بهذا الاسم، لأن كثيراً من النصارى كانوا يغطسون في النيل. وكان من الرسوم القديمة بمصر، أن يركب متولّي الشرطة السفلى ليلة الغطاس في موكب كبير، وتوقد بين يديه الشموع الموكبية والمشاعل، فيطوف الشوارع وينادي في الناس أن لا يختلط المسلمون بالنصارى في تلك الليلة وألاّ ينكدوا عليهم عيدهم. وكان لأهل مصر من أهل الملل والمذاهب بهذا العيد من الطيبة والفرح، ما لا يكون لهم في غيره من ايام السنة وأعيادها[٦٥].

ويصف المسعودي ليلة الغطاس التي حضرها بمصر سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م)، فيذكر أن لليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها، لا ينام الناس فيها، وقد حضرها مئات الآلاف من الناس من المسلمين والنصارى منهم في الزوارق، ومنهم في الدور الدانية للنيل، وأظهروا كل ما يمكن اظهاره من المأكل والمشرب والملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر والملاهي والعزف ، وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سروراً ولا تغلق بها الدروب، ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أنه أمان من المرض ومبرئ من الداء[٦٦].

ذ- عيد الأحد:

وهو من أعياد الصوم عند النصارى في المجتمع العباسي، أما المسلمون، فيعدونه عيداً من أعياد اللهو الذي يبلغ ذروته في ليلة الماشوش – كما يسميها ميتز– وهي ليلة تختلط النساء فيها بالرجال[٦٧].

وكان في يوم الأحد الرابع من الصوم، عيد دير (دُرْمالس)، وكان يجتمع فيه نصارى بغداد. ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة إلا تبعهم، وكان الناس يقيمون فيه لأيام[٦٨].

ر- عيد الخروج:

وكان من الأعياد الكبرى عند النصارى بمصر، والذي سرعان ما اتخذه المسلمون عيداً أيضاً، ويسمى عيد الخروج لسجن النبي يوسف (عليه السلام) بالجيزة. وكانت العادة تجري أن يطوف العامة والسوقة قبل الخروج للسجن، بأسواق البلد بالطبول والأبواق؛ ليجمعوا من التجار ما ينفقونه في خروجهم(٦٩).

ز- عيد الشهيد:

ويكون في الثامن من أيار وكان النصارى يلقون في النيل تابوتاً مصنوعاً من الخشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموتى، ويعتقدون أن ماء النيل لا يزيد كل سنة الا بذلك. ويشير المقريزي، إلى أن اجتماع الناس للعيد في شبرا ويرحل إليه جماعة من أهل الفجور واللهو والفسوق، ويبذرون فيه أموالاً لا تحصى، ولا يبقى مغنٍ أو مغنية ولا صاحب لهو ولا بغي ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ونحو ذلك إلا خرج لهذا العيد. وكان يباع فيه من الخمر ، بما يزيد على مائة ألف درهم فضة، وقد أبطله السلطان (محمد بن قلاوون) في مطلع القرن الثامن(٧٠).

٢- الأعياد اليهودية:

وكانت لليهود عياداً كثيرة ومختلفة، قُسمت على نوعين، هما:

أ. الأعياد التوراتية:

ونقصد بها الأعياد التي ورد ذكرها في العهد القديم (التوراة)، وهي خمسة أعياد، العيد الأول رأس السنة ويحتفل به اليهود عند رأس السنة اليهودية ويسمونه عيد رأس هيشا أي (عيد رأس الشهر)، ويقولون أن الله تعالى أمر إبراهيم (ع) بذبح إسماعيل ابنه ثم افتداه بذبح عظيم في هذا اليوم. وهذا العيد يقابل منزلة عيد الأضحى عند المسلمين(٧١).

أما العيد الثاني هو عيد (صوماريا) ويسمونه الكبور وهو عند اليهود الصوم العظيم الذي يقولون فيه: إن الله فرض عليهم صومه، ومن لم يصمه قُتل عندهم- كما يذكر القلقشندي- ولا يجوز أن يقع هذا الصوم عندهم في يوم الأحد ولا في يوم الثلاثاء ولا في يوم الجمعة(٧٢).

والعيد الثالث هو (عيد المظلة) وهو سبعة أيام يجلس فيها اليهود تحت ظلالٍ من جريد النخل وأغصان الزيتون وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض. أما العيدان الرابع والخامس فهما عيد الفطير ويسمونه الفصح، ويكون في الخامس عشر من نيسان، وهو سبعة أيام أيضاً، (وعيد الأسابيع) ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب، ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أيام. ويقولون أنه اليوم الذي خاطب الله فيه بني إسرائيل من طور سيناء(٧٣).

ب. الأعياد المحدثة:

وهي الأعياد التي أحدثها اليهود ولم يرد ذكرها في التوراة. وهي عيدان (الأول): عيد الفوز وهو عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة، ويصومون قبله ثلاثة أيام. (والثاني): عيد الحنكة وهو ثمانية

أيام يوقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجاً وفي الليلة الثانية سراجين، وهكذا إلى أن تكون في الليلة الثامنة ثمانية سُرُج[٧٤].

(عيد يوم السبت)

أما (يوم السبت) فكان مناسبة دينية مهمة لديهم فضلاً عن أعيادهم هذه، كان له صلوات لاسيما وقراءات من أسفار التوراة، ولهذا اتخذوه عطلة. ولأهمية هذا اليوم وتمسكهم به، وتفرغهم لأجله من القيام بأي عمل، ينقل لنا (ابن الأثير) رواية تثير الاستغراب لما عُرف عنهم من حبهم للأموال وهي ضمن حوادث سنة (٥٠١هـ/١١٠٧م) الى حريق خرابة ابن جردة في بغداد إذ كان من تلك المحلة جماعة من اليهود تركوا أشيائهم طعمة للنار لتمسكهم بالسبت، وكان منهم فريق قد عبر إلى الجانب الغربي لمشاهدة عاداتهم في السبت الذي يلي العيد، فلما عادوا وجدوا بيوتهم قد خربت وأهلها قد احترقوا وأموالهم قد تلفت[٧٥].

وبقدر تعلق هذه الأعياد والمناسبات ببحثنا فإننا لم نجد في المصادر التأريخية رواية تثير الاستغراب عن اليهود لما عرف عن حبهم للأموال وهي ضمن الحوادث التي تيسرت لنا – وهي ليست قليلة– ما يشير إلى وجود مظاهر احتفال لليهود بها في العصر العباسي، وكل ما وجدناه كان مجرد إشارات ذكرت في هذا المصدر أو ذاك. وحتى هذه النتف أو الإشارات، فإن من المؤرخين، لم يذكروها إلا على سبيل العرض ليس إلا أو أنهم ذكروها لعلاقتها بتأريخ البلاد واشتراك المسلمين بها.

ومن الثابت تأريخياً أن بعض الخلفاء العباسيين، كانوا على قدر كبير من التسامح مع اليهود، ولاسيما الخليفة هارون الرشيد ١٧٠–١٩٣هـ/٧٨٦–٨٠٩م والخليفة المأمون ١٩٨–٢١٨هـ/٨١٣–٨٣٢م، إذ انفتح مجال واسع ليهود العراق وعالجوا مواضيع مختلفة في الرياضيات والطب والتنجيم والفلسفة والصرف واللغة العربية.

ويذكر (الطبري) ت٣١٠هـ/٩٢٢م أنه كان هناك عيد لليهود يسمى عيد الفطر وأنه في سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م) اتفق مع عيد الأضحى للمسلمين وعيد الشعانين للنصارى[٧٦]، وهذا ما أكده غيره من المؤرخين[٧٧].

وقد يعود السبب في عدم شيوع مظاهر الاحتفال بأعياد اليهود في العصر العباسي إلى سرية الطقوس اليهودية عموماً والسبب هو اضطهاد بعض الخلفاء العباسيين[٧٨] لهم، وإلى تعديلات محدودة أو ضيقة ونذكر منها في سنة (٢٣٥هـ/٨٤٥م) أمر المتوكل ت٢٤٧هـ/٨٦١م بأن يلبس أهل الذمة– ومنهم اليهود– الطيالسة العسلية ويركبوا البغال والحمير بركب الخشب والسروج التي فيها الأُكُر، وأن لا يركبوا الخيل والبراذين ويصيّروا على أبوابهم خُشُباً فيها صورة الشياطين، أمر في السنة ذاتها ألاّ يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من عمل السلطان، وأن تهدم الكنائس والبيع المحدثة، ومنعوا من العمارة، وكتب بذلك في الآفاق[٧٩].

وتصاعد اضطهاد اليهود في عهد المقتدي بأمر الله العباسي (ت٤٨٧هـ /١٠٩٤م) إذ تبنى وزيره (أبو شجاع محمد بن حسين) حملة ضد اليهود منع فيها عطلة السبت، فأمر محتسبه (ابن الخرفي) أن يؤدب كل من فتح دكانه يوم الجمعة ويغلقه يوم السبت من البزازين المسلمين، وغيرهم وقال: هذه مشاركة لليهود في حفظ سبتهم[٨٠]. وتذكر الروايات أن أمير مصر العباسي (أحمد بن طولون)، أمر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها قصراً عظيماً[٨١].

٣- الأعياد عند الصابئة:

ومدار أعيادهم على الكواكب، ويقول القلقشندي: " إن أعيادهم تكون عند نزول الكواكب الخمسة المتحِّيرة وهي: زحل والمشتري والمريخ والزهراء وعطارد في بيوت شرفها وهم يعظمون اليوم الذي تنزل الشمس فيه الحَمَلَ، ويلبسون فيه افخر ثيابهم وهو من عندهم أعظم الأعياد وكانت ملوكهم تبني الهياكل وتجعل لها أعياداً بحسب الكواكب التي بنيت على اسمها فيه"[٨٢].

أما ابن النديم في الفهرست، فيذكر أعيادهم بشيءٍ من التفصيل، ويشير إلى أن أول سنتهم يكون في نيسان وتحديداً الأول منه. وفي الثاني والثالث يضرعون لآلهتهم الزهرة، ويذبحون الذبائح ، ويحرقون الحيوانات أحياء. وفي اليوم السادس يذبحون ثوراً لآلهتهم القمر، ويأكلونه في آخر النهار. ويوم الثامن منه، يصومون ويفطرون على لحوم الخراف، ويعملون في هذا اليوم عيداً للسبعة الالهة والشياطين والجن والأرواح. وفي اليوم الخامس عشر يعلمون الناس سر الشمال وقربان وتشميس وذبائح وإحراقات ويأكلون ويشربون. وفي اليوم العشرين منه يخرجون إلى (دير كادي) وهو دير على باب من أبواب حرّان يسمى باب فندق الزيت ويذبحون ثلاثة من فحول البقر (الثور)، واحد لزحل وواحد للمريخ، وواحد للقمر، ويذبحون تسعة خرفان. وفي الثامن والعشرين منه، يخرجون إلى دير لهم في قرية تسمى (سبتي) على باب من أبواب حرّان يقال له باب السراب ويذبحون ثوراً كبيراً لهرمس الإله الذي قيل بأنه النبي إدريس (عليه السلام)، ويذبحون تسعة، خرفان ويأكلون ويشربون ولا يحرقون في هذا اليوم شيئاً من الحيوان. وفي اليوم الثاني من أيار يعملون عيداً لابن السلام ونذوراً، ويملؤون موائدهم بالفاكهة والحلوى، ويأكلون ويشربون[٨٣].

وقد قدم بغداد في صدر الدولة العباسية، جماعة من الصابئة، نزحت إليها من حرّان والرقة المشتهرتين قديماً بمنازل الصابئة، وكان ممن قدمها (آل زهرون) وأنسبائهم آل قرة. وأصاب هؤلاء في بغداد حظاً وافراً من العلم والأدب، كما تقلد غير واحد منهم، جلائل الأعمال في خدمة بني العباس وأمرائهم ووزرائهم، وكذلك في خدمة بني بويه ووزرائهم[٨٤].

ويظهر أن هناك صابئة حرانية نسبة إلى مدينة حرّان، وهؤلاء قوم معروفون بعبادة الكواكب ويجرون مجرى عبدة الأوثان، ومنهم المؤرخ المعروف (هلال بن المحسن الصابئي) ولكنه أسلم فيما بعد، وهناك صابئة تسمى (بالصابئة المندائية)، وهي فرقة موحدة عرفانية نشأت في فلسطين قبل ظهور النصرانية، وهم من أتباع النبي (يحيى بن زكريا). وقد سماهم العرب بالمغتسلة؛ لأنهم يسكنون

على ضفاف الأنهار لتسهيل التعميد في الماء الجاري كما هي طقوسهم المعروفة حتى الآن. وقد سمّوا بالصابئة للواقعة التي يرويها (ابن النديم) في الفهرست على عهد الخليفة المأمون[٨٥].

هذا، ولم نجد في المصادر التأريخية ما يشير إلى مشاركة المسلمين أو النصارى في مظاهر احتفالات الصابئة بأعيادهم ومناسباتهم، وقد يعود السبب الأساس في ذلك إلى حرصهم على أن لا يشاركهم أحد من غير ملتهم، ولكن هذا لا يمنع من المشاركة على سبيل الفرجة فقط.

فضلاً عما تقدم كانت في المجتمع العباسي طبقات أخرى لها أعيادها ومناسباتها، ومن هؤلاء الطبقات: المانوية والزنادقة وغيرهما، ولكن الغالب أن هؤلاء كانوا أقليات ضئيلة ليس لهم تأثير فعال في المجتمع، إذا عاشوا في شبه عزلة، لا يختلطون بغيرهم ولا يصاهرون مَنْ يخالفهم في معتقداتهم. وقد ناهض الخلفاء العباسيون بشكل عام هؤلاء، مع السماح لهم عموماً بمباشرة نشاطهم المهني والحرفي[٨٦].

المحورالثالث

أعياد القصر العباسي ومناسباته الرسمية والاجتماعية

اتصفت الحياة داخل قصور الخلافة العباسية، بالنشاط والبذخ والأبهة وتنوع الاحتفالات التي تقام في الأعياد الرسمية، وفي المناسبات المختلفة مثل الزواج والختان وغير ذلك .

وكانت تمد في تلك الحفلات صواني من الذهب الخالص مرصعة بأصناف الجواهر، وكان العبيد والخدم، يأتون بزنابيل مملوءة بدراهم ودنانير يقدمونها بين أيدي المدعوين[٨٧]. وسنقتصر في بحثنا هذا، على ذكر الأعياد والمناسبات اللاسيما التي كانت تقام داخل القصر العباسي أو التي كانت تتميز القصور فيها دون غيرها.

١- عيد رأس السنة الهجرية :

ذكرنا في مبحثنا الأول ، أن عيد رأس السنة الهجرية ، لم يكن عيداً شعبياً بقدر ما كان عيداً خاصاً في قصر الخلافة ، فقد ظل هذا العيد محاطاً بالفخامة أكثر من غيره داخل القصر العباسي[٨٨] .

وكان من عادات الخلفاء العباسيين في قصورهم عند الاحتفال بهذا العيد ، نثر الزهور . ويروى أن الخليفة المتوكل ت٢٤٧هـ/٨٦١م- كان من الخلفاء العباسيين الشغوفين بالأبهة- أمر في هذا العيد، أن تضرب خمسة آلاف درهم وتلون بالحمرة والصفرة والسواد وغيرها، تنثر على أصحاب الرتب بقصر الخلافة[٨٩] .

(وفي مصر)- كما يذكر المقريزي- كان يصنع للخليفة قصر من الورد بقرية من قرى قليوب، وكان بها جنان وورود كثيرة ، وكان الخليفة يخرج في يوم يسمى مقر الورود إلى تلك القرية متنزهاً ، ويخدم هناك بضيافة عظيمة[٩٠] .

٢- أعياد التتويج:

كانت مراسيم تتويج الخليفة في القصور العباسية، تجري دائماً على أفخم صورة، وكان الجميع يبتهجون فيه ويعدونه عيداً من الأعياد اللاسيما ، ففي عام (٣٦٩هـ/٩٧٩م) تم في دار الخلافة تتويج السلطان البويهي (عضد الدولة)(*) وسط احتفال خاص مهيب. وبعد أن فوض الخليفة الطائع الخلافة لعضد الدولة ، أمر بأن تُفاض عليه الخلع ويتوج، ثم عقدت له الألوية ، وقرئ كتابه ، وبعد ثلاثة أيام بعث الخليفة إليه هدية فيها غلالة قصب وصينية ذهب ويذكر المؤرخون أن الخليفة الطائع جلس أثناء حفل التتويج لعضد الدولة، على سرير الخلافة في صدر صحن السلام، وحوله من خدمه الخواص نحو مائة بالمناطق والسيوف، ووقف الأشراف على الجانبين، وتقول الرواية أنه لما وصل عضد الدولة، أذن له الخليفة ، فدخل وقبل الأرض بين يديه، فارتاع أحد القواد لذلك وقال بالفارسية: ما هذا أيها الملك. أهو لله عزوجل! فالتفت عضد الدولة إلى من يفهمه أن هذا خليفة الله في الأرض(٩١).

وتجدر الإشارة إلى أن مثل هكذا أعياد أو احتفالات ترقى إلى مستوى الاحتفال بمناسبة الأعياد، كانت تقام أيضاً عند شفاء الخليفة من المرض أو عودته من سفر أو حرب أو عند الاحتجام ، ولكن لم يكن لها عند العباسيين من مراسم تلفت النظر .

٣- احتفالات الزواج:

كانت حفلات الزواج ، اشهر أعياد قصور الخلافة العباسية إلى جانب حفلات الختان (سنأتي على ذكرها لاحقاً). ويذكر المؤرخون أن نفقات زفاف هارون الرشيد (ت١٩٣هـ/٨٠٨م) بلغت خمسين ألف درهم ، فيما بلغت نفقات زفاف المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل سبعين ألف ألف درهم، وكان الحسن بن سهل لوحده قد خلع في يوم زفاف ابنته على القواد والمراتب خمسين ألف ألف درهم(٩٢) . ويقال أن أمير الأمراء ابن رائق أنفق خمس عشرة ألفاً من الدنانير في حفل زواجه(٩٣)، ولا ريب أن هذا المبلغ ضخم بالنسبة لمستوى المعيشة والأسعار في ذلك العصر.

جرت العادة في العصر العباسي عند طبقة الأثرياء أن ينثر على الحضور النقود الذهبية والفضة والحلوى وقد عرف ذلك بالنثار، وتجلت هذه المظاهر في حفلي زفاف السيدة زبيدة والخليفة العباسي هارون الرشيد وكذلك زواج الخليفة المأمون وبوران بنت سهل(٩٤) وظلت عادة النثار متبعة طيلة العصر العباسي(٩٥) لأنها شوهدت في حفلي ختان المعتز بن المتوكل وأولاد المقتدر بالله (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م) حتى قيل: إن النفقات بلغت في يوم ختان أولاده ٦٠٠ ألف دينار ووزعت الدراهم والكسوة(٩٦) وقد عممت عادة النثار واتبعها سائر الناس وصاروا على ذلك يقدمون الهدايا الى العروس .

٤- حفلات الختان:

يدخل هذا الاحتفال ضمن مناسبات الأسرة في المجتمع العباسي، ولكنه أصبح أكبر احتفال بقصر الخلافة في ق٣هـ/٩م وذلك عند ختان (عبد الله المعتز بن المتوكل)(٩٧)، إذ أنفق المتوكل في هذه

المناسبة ستة وثمانين ألف ألف درهم ومقدار هذا المبلغ –كما يقول ميتز– يشبه ما يقال في القصص الخيالية[٩٨] .

وفي هذا المبلغ شيء من المبالغة التي دفعت المستشرق الألماني (آدم ميتز) الى تشبيهها بالقصص الخيالية لكثرة المبالغ التي صرفت فيها ونتفق تماماً معه لما عرف عن شغف المتوكل للبذخ والاسراف والميل للأبهة .

وفضلاً عمّا ما تقدم، فإن أهم ما تميزت به حياة القصور العباسية، كانت المجالس المتعددة وأهمها مجالس الغناء والطرب والموسيقى ومجالس القصاص، ومجالس الوعاظ، وكان لكل هذه المجالس، مراسم احتفالات خاصة[٩٩]. وكان معظمها يدخل في ضمن التسلية والترويح، ولا تدخل ضمن معنى آخر .

المحور الرابع

المناسبات والاحتفالات الأسرية في المجتمع العباسي

احتلت الحياة المنزلية والعائلية ركناً من أركان الحياة الاجتماعية في عموم المجتمع الإسلامي. وفي ظل الإسلام وتعاليمه ومثله وروحه، وجد قدر كبير من التشابه في هذه الحياة المدن الإسلامية جميعها، وانعكس ذلك بوضوح على مظاهر الاحتفال بالمناسبات والأعياد ذات الطابع الأسري .

ومن الخصائص البارزة التي اتصفت فيها حياة الأسرة في المجتمعات الإسلامية بشكل عام ومنها المجتمع العباسي، كثرة الاحتفالات والأفراح العائلية بالمناسبات ذات الصبغة الأسرية اللاسيما. وكذلك امتازت هذه الحياة بظاهرة لا نجد لها شبيهاً في المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، وهي كثرة الولائم المنزلية، فكل مناسبة من مناسبات الاحتفال مقرونة بوليمة للأهل والأحباب، وأهم هذه المناسبات: الزواج والولادة والختان والانتهاء من بناء دار جديدة، والاحتفال بعودة مسافر أو حاج[١٠٠]. وسنقتصر في مبحثنا هذا على ذكر أهم المناسبات .

١. احتفالات الزواج في الأسرة:

تنهض الخاطبة بمهمة كبيرة في إتمام الخطوبة، فهي كانت تتظاهر ببيع الطيب والبخور حتى يتاح لها دخول البيوت والاطلاع على أسرار النساء، ثم لكي يتسنى لها اختيار العروس من الفتيات اللواتي هن في سن الزواج على وفق المواصفات التي توافق رغبات الشباب. وربما فضل كثيرون عقد النكاح في المساجد طلباً للبركة، فيجتمعون هناك وهم يحرقون البخور، ثم ينصرفون في حفل كبير بعد كتابة العقد. وبعد عقد القرآن تأتي مرحلة اتمام تجهيزات العروس فنقلها إلى بيت الزوجية، ويكون ذلك في حفل يشترك فيه الأقارب والمعارف[١٠١] .

وفي ليلة الزفاف تقام وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء، وبعدها – أي في المساء– يخرج العريس قاصداً بيت العروس في موكب كبير يحف به الأهل والأصدقاء، وبوصول العريس إلى منزل عروسه يبدأ حفل الزفاف، فتضرب الدفوف ويتصاعد الغناء مع زغاريد النساء[١٠٢] .

٢. الولادة:

ومن الاحتفالات الأسرية ذات الشأن الكبير في العصر العباسي، تلك اللاسيما بالولادة، فإذا وضعت أم مولودها، أقبلت عليها النساء يزغردن ويرفعن أصواتهن بذلك مع ضرب الدفوف والرقص، وتستمر هذه الأفراح سبعة ايام لا ينقطع خلالها وفود المهنئين والمهنئات[١٠٣] .

٣. الختان:

يقول (آدم ميتز): إن الختان كان من أهم الأعياد العائلية، ولم يكن قد صار بعد، عيداً خاصاً لأنه كان لا يزال محتفظاً بالكثير من خصائص أعياد بلوغ الشباب عند القدماء[١٠٤]. وكان الرجل يكره أن يختن لابنه منفرداً ولذلك يحكى عن الخليفة المقتدر أنه في سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) ختن خمسة من أولاده، وختن قبل ذلك جماعة من الأيتام[١٠٥]. وكان يحتفل بختان الطفل، احتفالاً كبيراً يدعى إليه سائر الأهل والأصدقاء .

٤. موسم الحج:

في هذا الموسم تتحول المدن الإسلامية، إلى ساحات للأفراح ، فقبل خروج الحاج، تقام الأفراح في منزله ، وبعد عودته تقام أيضاً إذ تضرب الدفوف وتنفخ الأبواق[١٠٦] .

الخاتمة

يظهر مما تقدم في البحث، أن المجتمعات الإسلامية عموماً ، ومنها المجتمع العباسي، قد اعتادت الاحتفال بالأعياد والمناسبات، وأن هناك عدد كبير من هذه الأعياد والمناسبات ذي طابع ديني إسلامي، احتفل به المسلمون فقط، ومنها ذي طابع ديني غير إسلامي، ومع ذلك شارك المسلمون في بعضها، ولم يشاركوا في بعضها الآخر. كما يظهر أن أعياداً لاسيما اقتصرت طقوسها داخل قصر الخلافة أو خارجه ولكنها اختصت به، ولكنها اختصت به وهناك أعياد اقتصرت طقوسها على الأسرة فقط .

وتأتي الأعياد الدينية الإسلامية في مقدمة المناسبات التي حرص الخلفاء العباسيون على الاحتفال بها بقدرٍ عالٍ من الفخامة والأبهة ، ولاسيما عيدي الفطر والأضحى، والمولد النبوي الشريف، ومواكب الحج. وجاء كثير من هذه الأعياد مصحوباً بالمواكب ذات الصبغة الرسمية .

عدم اقتصار احتفال المجتمع العباسي والخلفاء العباسيين على عيدي الأضحى والفطر، بل شمل الأعياد الفارسية كالنوروز والمهرجان التي أصبحت في العصر العباسي من أهم الأعياد الرسمية التي تميز المجتمع العباسي عموماً والمشرق خصوصاً وهذا هو الذي أظهر لنا التنوع المجتمعي في العصر العباسي.

فهذه الأعياد والمناسبات والاحتفالات ومظاهرها ورسومها قد قدمت لنا عناصر وفئات فضلاً عن التنوع الديني والمذهبي وهذا يجعلنا نتصور مدى التنوع المجتمعي الذي تميزت به مدة الحكم العباسي مقارنة بمدة الدولة الأموية والتنوع المجتمعي الذي عاشته بغداد خصوصاً وباقي الولايات والأقاليم التي كانت ضمن الدولة العباسية وميزت المجتمع العباسي .

ويظهر أن أهل الذمة من النصارى واليهود، قد تمتعوا بكثير من ضروب التسامح الديني إلى حد أنهم كانوا يقيمون شعائرهم الدينية في أمن ودعة. وبالإمكان القول: إن عصر المأمون، كان بالنسبة لأهل الذمة "عصراً ذهبياً" لأن الدولة لم تتدخل في شعائرهم، ولم تفرض عليهم نوعاً من السلوك أو التمايز .

وهذه الفئة الاجتماعية وبحكم الاختلاط الاجتماعي والألفة بين أفراد المجتمع ظهرت لتعكس هذا التنوع المجتمعي من خلال المشاركة وتبادل التهنئة والمباركة مع بعضهم البعض وهي لم تكن فقط صورة للتعايش والتسامح انما صورة للتفاعل الانساني والاجتماعي.

إلا أن ذلك لم يستمر في كل عهود الخلافة، لأن المؤرخين يذكرون أن الخليفة المتوكل، كان قد اضطهدهم كثيراً، وفرض عليهم نوعاً من الملابس والعلامات المميزة، واستمر هذا النهج في سياسة الخلفاء أو الأمراء الذين جاءوا بعده .

وإذا كان التسامح الإسلامي مع أهل الذمة في العصور التي سبقت خلافة المتوكل، قد دلّ على مقدار رقة المنطق الإسلامي الذي يحيط في الحياة العامة-كما يقول ميتز- فإن مبعث هذا التسامح، ليست هذه "الرقة" فقط بل لأن الإسلام كان منذ البدء يلتصق الإنسان ويعده قيمة علياً تتقدم على كل شيء .

ولم تلفت النظر، مظاهر البذخ التي حفلت بها قصور الخلافة العباسية في أعيادهم اللاسيما ومناسباتهم؛ لأن هذه المظاهر، كانت قد ميزت هذه الخلافة على طول الخط ولاسيما العهود التي سبقت العهد الأخير الذي انتهى بزوال الدولة العباسية وسقوطها، إلا أن هذه المظاهر بالقياس مع مظاهر الاحتفال الشعبي ولاسيما أعياد العائلة واحتفالاتها في المجتمع العباسي قد أظهرت على نحو واضح الفروقات الطبقية التي كانت تسود المجتمع آنذاك .

الهوامش:

---

(١)الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، مراجعة وتصحيح: نخبة من العلماء، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٩، ج٧، ص٣١٨.

(٢)مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٨، ج٢، ص٢٠.

(٣)ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق: ميخائيل عواد، بغداد، ١٩٦٢، ص٢٥. ونشرت المقامة مجلة المورد العراقية، عام ١٩٧٩، مجلد/٨، عدد/٤، ص٤٢١،.

(٤)العبيدي، د. صلاح حسين، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٨٢.

(٥) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد مصطفى وعبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ط١، ج١٠، ص٣٥.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٨.

(*) الصاحب بن عباد هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد الطالقاني وزير غلب عليه الأدب فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وكان أبوه عباد وزيراً لركن الدولة البويهي وهو أول من لُقب بالصاحب من الوزراء لأنه صحب الفضل بن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم أُطلق عليه هذا اللقب "الصاحب" عندما تولى الوزارة . ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٤، ص١٦٤.

(٧) الرحيم، د. عبد الحسين مهدي، تأريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ١٩٩٥، ص٤٧٥- ٤٧٦.

(*) يانس الصقلبي هو أبو الحسن يانس الخادم الصقلبي الذي عينه الحاكم بأمر الله على برقة وهو بالأصل من خدم الخليفة العزيز بالله الفاطمي، ينظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشال ومحمود حلمي محمد، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٢، ص٤١٧؛ ابن تغرى بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة المؤسسة المصرية العامة، د.ط ، د.ت، ج٤، ص١٧٦.

(٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج١، ص٣٨٧ .

(٩) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م، ج٣، ص٥١١-٥١٢ .

(١٠) ينظر: ميتز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٧م، ط٣، ج٢، ص٢٩٢.

(١١) ميتز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٩٢.

(١٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٣٢.

(١٣) الرحيم، تاريخ الحضارة، ص٤٧٥.

(١٤) مصطفى، المدن في الإسلام، ج٢، ص١٣١.

(١٥) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٣٨٨.

(١٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٦.

(١٧) شاكر مصطفى، المدن في الإسلام، ج٢، ص١٢٢.

(١٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٣٨٩.

(١٩) صبح الأعشى، ج٢، ص٤١٧.

(٢٠) المقريزي، مصدر سابق، ج١، ص٤٣٠، ٤٦٦-٤٦٧.

(٢١) مصطفى، المدن في الإسلام، ج١، ص١٢٢.

(٢٢) المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٦٦-٤٦٧.

(٢٣) مصطفى، المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٥.

(٢٤) ميتز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٩٠.

(٢٥) حسن، إبراهيم حسن، تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٥، ج٣، ص٤٥٣.

(٢٦) مصطفى، المدن في الإسلام، ج٢، ص٢٢٢.

(٢٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٧.

(٢٨) ابن الكازوروني، مقامة في قواعد بغداد، ص٧٤.

(٢٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٧٥.

(٣٠) حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٤٢٣.

(٣١) عاشور، د. سعيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٧٠.

(*) هو تعريب نوروز، ويقال أن أول من اتخذه (جم شاد) أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس ، ومعنى شاد:- الشعاع والضياء ، وأن سبب اتخاذهم هذا اليوم عيداً – كما يذكر القلقشندي- أن الدين كان قد فسد قبله ، فلما ملك ، جدده واظهره ، فسمي اليوم الذي ملك فيه (نوروز) أي اليوم الجديد. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤١٨.

(٣٢) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، متابعة: ادوارد ساجيو، لابترك، ١٩٢٣م، ص٢١٦، ٢١٧؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في عصر المغرب وبلاد الشام، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٦٥٩، ٦٦٠؛ مصطفى، المدن في الإسلام، ص١٣٥.

[٣٣]المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٤، ص١٠٠.

[٣٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ص٤٢٠.

[٣٥] مصطفى، المدن في الإسلام، ج٢، ص١٣٦.

[٣٦] القلقشندي، صبح الأعشا، مصدر سابق، ج٢، ص٤١٩.

[٣٧] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٠-٣١.

[٣٨] ميتز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٩٠.

[٣٩] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٢٠.

[٤٠]القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢١.

[٤١] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٢٢.

[٤٢]حسن، تاريخ الاسلام، ج٢، ص٤٥٤.

[٤٣]ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد (ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٢، ص٨٨، ٨٩ وما بعدها.

[٤٤]الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م)، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣١٤-١٤١٥.

[٤٥] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٠٤، ٣١٨-، ٣١٩ {والواقع أن السياسة التي اتبعها المتوكل اتجاه أهل الذمة هي أقرب إلى سياسة رد الفعل الطبيعي باتجاه الأفعال المتطرفة من الجانب الآخر أو الطوائف الأخرى وهم أهل الذمة مستفيدين من سياسة التسامح التي اتخذها الخلفاء العباسيون والدولة العباسية بصورة عامة فضلاً عن تعايش وتقبل المجتمع البغدادي والعباسي بالعموم لأهل الذمة باعتبارهم لحمة في النسيج الاجتماعي}.

[٤٦] القلقشندي، صبح الأعشا، ج٢، ص٤١٥، ٤٢٥، ٤٢٧؛ ميتز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٧٦.

[٤٧] القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٤٢٥.

[٤٨] المقدسي، أحمد بن سهل بن مطهر بن طاهر (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)، البدء والتاريخ، مطبعة برطرند، باريس، ١٩٠٧م ، ج٤، ص٤٧.

[٤٩] الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٢٨.

[٥٠] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٢٦٤.

[٥١] ميتز، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٧٨.

[٥٢] ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٢٤؛ ميتز، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٧٨.

[٥٣] تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٣٥٥.

(*) عيد الفِصْحِ ويسمى عيد القيامة ويعرف بأسماء عديدة أخرى مثل البصخة وأحد القيامة وهو من الأعياد المسيحية المعظمة لديهم وهو أكبرها إذ يستذكر فيه قيامة المسيح من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من صلبه وموته وفيه الصوم الكبير الذي يستمر (٤٠) يوماً، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشا، ج٢، ص٤١٨.

(*) دير سمالو: هذا الدير يقع بباب الشماسية على نهر المهدي في بغداد، وحوله بساتين . وأشجار اسم الدير (سمالو) مشتق من صمالوا وهي إحدى مدن الحدود الأرمنية التي فتحها الخليفة (هارون الرشيد) سنة ١٦٣هـ/٧٨٠م عندما كان ولياً للعهد في خلافة المهدي فسألوه الأمان فأجابهم ثم نزلوا بباب الشماسية وتدريجياً حرفت التسمية

من صمالوا إلى سمالو بعد أن بنوا فيها الدير، الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٥.

(٥٤) ميتز، الحضارة الاسلامية، ج، ص٢٧٩.

(٥٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٢٦.

(٥٦) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٢٦٦؛ وينظر، القلقشندي، المصدر نفسه، ص٤١٧-٤١٨.

(٥٧) ميتز، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٨٠.

(٥٨) أشموني: ويقع هذا الدير في قطربل في الموضع المعروف اليوم بـ (التاجي) ، وقد بنى المسيحيون دجير أشموني المعروف بحدائقه الغناء ومزارعه الكثيرة وبساتينه العامر وكان من متنزهات بغداد، الشابشتي، الديارات، ص٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، د.ط، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٢، ص١٢٢؛ وينظر: جواد، د.مصطفى، مقال في جريدة العراق (ع) ٧٢٢١، بغداد، ١٩٤٧/١/١٣م. أما أشموني فهو نسبة إلى القديسة التي شيد على اسمها الدير وهي قديسة مسيحية قُتلت مع أبنائها السبعة على يد الوزثنيين، ابن العبري أبو الفرج، غريغورس بن هارون الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٠١-١٠٢، ص٤٥٩.

(٥٩) قطربل: هو اسم لطسوج من طساسيج بغداد أي كورة فيما كان من شرق الصراط فهو بادوريا وما كان من غربها فهو قطربل وهي قرية من قرى بغداد وهو موضع بالعراق يُنسب إليه الخمور، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢٨، ص٢٢١.

(٦٠) الشابشتي، الديارات، ص٣٠، ٣٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٩٣؛ ميتز، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٨٠.

(٦١) ميتز، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٨١.

(٦٢)ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، الرحلة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٥٢م، ص٢١٣، ٢١٤، ٢١٦.

(٦٣) ميتز، الحضارة الاسلامية ، ص٢٨١.

(٦٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٢٢.

(٦٥) ميتز، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٨٣.

(٦٦) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٨٥.

(٦٧) ميتز، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٨٥، ٢٩١.

(٦٨) ميتز، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩١، ٢٠٥.

(٦٩) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٢٠٧.

(٧٠) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٦٩.

(٧١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٣٦.

(٧٢) صبح الأعشى، ج٢، ص٤٣٦.

(٧٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٣٧- ٤٣٨.

(٧٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٣٨.

(٧٥)ابن الأثير،أبو حسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، و د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١٠، ص١٧١.

[٧٦]الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٣٨٢.

[٧٧]ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٣٢٣.

[٧٨]كما ويبدو أن كلمة اضطهاد ما يكون فيه نوع من التجني على الدولة العباسية والخلفاء العباسيين وتحديداً المقتدي بأمر الله كونه كان قد اتخذ سياسة عامة لمنع كل المنكرات والمفاسد والبدع) .

[٧٩]اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تأريخ الاعتصام للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠٠٥، ج٢، ص٣٤٣.

[٨٠] ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٢٤.

[٨١] المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٧.

[٨٢] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٣٠.

[٨٣] ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، الفهرست، شرح وتعليق: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢، ص٥٠٠.

[٨٤]الصابئي، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، رسوم دار الخلافة، تحقيق ونشر: ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م، مقدمة الناشر، ص٧.

[٨٥]الفهرست، ص٤٩٨- ٤٩٩.

[٨٦] عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٦٢.

[٨٧] عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٦٣.

[٨٨] ميتز، الحضارة الإسلامية ، ص٢٩٠.

[٨٩] ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٢٤-١٢٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٩٠؛ ميتز، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩١ .

[٩٠] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٨٨.

(*) هو فنا خسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه والذي استطاع في عهده أن تصل الدولة البويهية الى عزها ومجدها خلال خلافة الخليفة العباسي (الطائع لله) ٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٣-٩٩١م والذي تزوج من ابنة عضد الدولة وزوج ابنته له. مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٦٩؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٢٤-١٢٥؛ مسكويه، ج٣، ص٦٩.

[٩١] ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، ١٩٦٦م، ص٢٨٠-٢٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٥٧-١٥٨؛ ميتز، الحضارة الاسلامية، ج١، ص٢٤٦.

[٩٢]طيفور، أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م)، (كتاب بغداد) المستوعب لفترة خلافة المأمون، جمعه: إحسان ذنون الثامري، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١١٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٤٣، السيوطي، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٣٠٨، ١٤٩.

[٩٣] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٦٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٤٩، ٢٥٧.

[٩٤]ابن الجوزي، كتاب الأذكياء، قدم له وحققه: الشيخ عبد الرحمن ديب الحلو، ط٢، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٨٢، ٤٢٨؛ المنتظم، ج٧، ص١٢٧.

[٩٥]ابن الجوزي، كتب الأذكياء، ص١٨٣.

[٩٦]الشابشتي، الديارات، ص١٠٠.

[٩٧]ابن الجوزي، كتب الأذكياء، ص١٨٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٢.

[٩٨] الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٩٤.

[٩٩] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٢١، ٢٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٣٨؛ ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ص١١١، ١١٣، ١١٥، ١٥١، ١٩٨، ٢٠٠١؛ عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٦٣.

[١٠٠]ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١٤٣، ٣٨٢؛ المنتظ، ج٧، ص٢١٥؛ عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٧٢.

[١٠١] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٠٥.

[١٠٢]المقريزي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٥، ١٠٦؛ عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٧٤.

[١٠٣] عاشور وآخرون، المصدر نفسه، ص٢٧٤.

[١٠٤]الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٩٣.

[١٠٥] الشابشتي، الديارات، ص١٠؛ ابن الجوزي، المنظم، ج٧، ص١٢٧.

[١٠٦] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١٣٩-١٤٠، ٣٨٢؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، ط٤، مطبعة الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج١١، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠١.

المصادر

أولاً: المصادر

١- ابن الأثير، أبو حسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، و د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد (ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م)

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م .

٣- ابن تغرى بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة المؤسسة المصرية العامة، د.ط ، د.ت .

٤- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)

- الرحلة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٥٢م .

٥- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)**

- المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، مطبعة دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

٦- **ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)**

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م .

٧- **ابن العبري، أبو الفرج، غريغورس بن هارون الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)**

- تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م .

٨- **ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)**

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، ١٩٦٦م

٩- **ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)**

- مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق: كوركيس عواد- ميخائيل عواد، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٢م .

١٠-**ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)**

- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، ط٤، مطبعة الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م .

١١-**ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت٣٨٥هـ/١٩٨٨م)**

- الفهرست، شرح وتعليق: د. يوسف علي طويل، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٢م .

١٢- **طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م)**

- كتاب بغداد جمع: إحسان ذنون الثامري، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٣- **البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)**

- الآثار الباقية عن القرون الخالية، متابعة: دوراء ماجيو، لابترك، ١٩٢٣م .

١٤- **الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م)**

- رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٢ .

١٥- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)**

- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٤م .

١٦- **الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)**
- الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦م .
١٧- **الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)**
- رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م .
١٨- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)**
تاريخ الأمم والملوك، مراجعة: نخبة من العلماء، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٩م .
١٩- **القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)**
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.
٢٠- **الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)**
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م .
٢١- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٦م)**
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: د. يوسف البقاعي، ط١، مطبعة دار إحياء التراث العلمي العربي، بيروت، د.ت .
٢٢- **مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)**
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢٣- **المقدسي، أحمد بن سهل بن مطهر بن طاهر (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)**
- البدء والتاريخ، مطبعة برطرند، باريس، ١٩٠٧م .
٢٤- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٢٤١م)**
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ (الخطط المقريزية)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ .
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشال ومحمود حلمي محمد، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦م .
٢٥- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)**
- معجم البلدان، د.ط، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت .
- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م .
٢٦- **اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت٢٩٢هـ/٨٩٧م)**
- تاريخ اليعقوبي، تعليق: خليل المنصور، ط٢، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ .

المراجع

١- **حسن، إبراهيم حسن**

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل- بيروت ومكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط١٤، ١٩٩٦م .
- تاريخ الدولة الفاطمية في عصر المغرب وبلاد الشام، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٨م .

٢- **الرحيم، عبد الحسين مهدي**

- تأريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة- طرابلس، ١٩٩٥.

٣- **عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون (الدكتور)**

- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٦.

٤- **العبيدي، صلاح حسين**

- الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد للطباعة والنشر- بغداد، ١٩٨٠.

٥- **مصطفى، شاكر**

- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني (جزءان) منشورات ذات السلاسل- الكويت، ط١، ١٩٨٨.

٦- **ميتز، آدم**

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤١م .